

## الصين في قلب العاصفة الدولية: ماذا أراد ترامب وبوتين من بكين؟

إعداد: د. فؤاد رباحة - باحث في العلاقات الدولية

### تمهيد

لم يكن تتابع زيارتي الرئيس الأميركي دونالد ترامب والرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى الصين خلال أيام قليلة في شهر مايو 2026 حدثاً بروتوكولياً عابراً، ولا مجرد نشاط دبلوماسي طبيعي بين الدول الكبرى، بل عكس بصورة واضحة التحول العميق الذي يشهده النظام الدولي، حيث باتت بكين اليوم نقطة التقاء الخصوم والحلفاء معاً، ومركزاً لا تستطيع القوى الكبرى تجاهله في ملفات الاقتصاد والطاقة والحروب والتوازنات الدولية.

جاءت زيارة ترامب إلى الصين في وقت تمر فيه العلاقة الأميركية-الصينية بواحدة من أكثر مراحلها تعقيداً منذ عقود، في ظل تصاعد الحرب الاقتصادية والتكنولوجية بين الطرفين، واستمرار الخلاف حول تايوان، والتنافس على النفوذ في آسيا والعالم، إلى جانب ملفات أكثر سخونة ترتبط بإيران والحرب في أوكرانيا ومستقبل النظام المالي العالمي. ورغم هذا التوتر فإن واشنطن تدرك أن الصين لم تعد خصماً يمكن عزله أو احتواؤه بسهولة، بل أصبحت قوة اقتصادية وسياسية تمتلك قدرة متزايدة على التأثير في اتجاهات الأزمات الدولية، الأمر الذي يدفع الولايات المتحدة رغم خطابها التصعيدي إلى إبقاء باب التفاهم مفتوحاً مع بكين، ولو بالحد الأدنى.

في المقابل جاءت زيارة بوتين إلى الصين بعد أيام فقط، لكن في سياق مختلف تماماً، فالعلاقة بين موسكو وبكين لا تقوم على الخصومة أو الخوف المتبادل، بل على شراكة استراتيجية تعززت بصورة كبيرة خلال السنوات الأخيرة، خصوصاً بعد الحرب في أوكرانيا وتصاعد المواجهة بين روسيا والغرب. وقد أدركت موسكو مبكراً أن الصين تمثل عمقاً اقتصادياً وسياسياً بالغ الأهمية في مواجهة الضغوط الغربية، بينما تنظر بكين إلى روسيا باعتبارها شريكاً استراتيجياً مهماً في إعادة تشكيل نظام دولي متعدد الأقطاب يحد من الهيمنة الأميركية.

ورغم اختلاف طبيعة الزيارتين، فإن التقارب الزمني بينهما يطرح تساؤلات مهمة حول ما إذا كانت بكين قد تحولت بالفعل إلى "العاصمة السياسية" للنظام الدولي الجديد، حيث يسعى الخصوم إلى تجنب الانفجار، بينما يعمل الحلفاء على تثبيت تحالفاتهم وإعادة توزيع النفوذ العالمي. كما يثير هذا التتابع السريع للزيارات سؤالاً أعمق: هل كانت زيارة بوتين رسالة غير مباشرة إلى واشنطن بعد لقاء ترامب-شي، أم أن الصين أرادت من خلال استقبال الطرفين خلال فترة قصيرة تأكيد قدرتها على إدارة علاقاتها مع الجميع دون الانخراط الكامل في أي محور؟

إن قراءة هاتين الزيارتين لا تتعلق فقط بالعلاقات الثنائية بين الصين وكل من الولايات المتحدة وروسيا، بل تكشف أيضاً عن طبيعة المرحلة الدولية الراهنة، التي تتسم بتراجع الهيمنة الأحادية الأميركية، وصعود مراكز قوة جديدة، وتزايد الترابط بين الاقتصاد والسياسة والأمن. فالعالم اليوم لا يعيش حرباً باردة تقليدية كما كان الحال بين واشنطن وموسكو في القرن

الماضي، بل يشهد صراعاً أكثر تعقيداً وتشابكاً، تختلط فيه التكنولوجيا بالطاقة، والتجارة بالعقوبات، والتحالفات العسكرية بالممرات الاقتصادية، بينما تقف الصين في قلب هذا المشهد باعتبارها اللاعب الأكثر قدرة على المناورة بين جميع الأطراف.

## ترامب في بكين.. إدارة الخصومة لا إنهاؤها

لم تأت زيارة ترامب إلى الصين في سياق علاقة مستقرة أو تقاهمات استراتيجية عميقة بين الطرفين، بل جاءت في ظل حالة من الشك المتبادل والتنافس المفتوح على قيادة النظام الدولي. فواشنطن تنظر إلى الصين باعتبارها المنافس الوحيد القادر اقتصادياً وتكنولوجياً وعسكرياً على تهديد التفوق الأميركي طويل الأمد، بينما ترى بكين أن الولايات المتحدة تحاول تطويق صعودها ومنع تحولها إلى القوة الأولى عالمياً. ولهذا فإن العلاقة بين البلدين لم تعد مجرد خلافات تجارية أو نزاعات دبلوماسية تقليدية، بل أصبحت أقرب إلى "حرب باردة حديثة" تستخدم فيها العقوبات والتكنولوجيا والطاقة والتحالفات العسكرية بدل المواجهة العسكرية المباشرة.

ورغم الخطاب التصعيدي الذي طبع السنوات الأخيرة، فإن إدارة ترامب تدرك أن المواجهة الكاملة مع الصين تحمل مخاطر اقتصادية وسياسية هائلة، ليس فقط على الاقتصاد العالمي، بل على الداخل الأميركي نفسه. فالصين لم تعد مصنعاً للعالم فحسب، بل أصبحت شريكاً اقتصادياً لا يمكن فصله بسهولة عن الأسواق الغربية وسلاسل التوريد العالمية. ومن هنا يمكن فهم زيارة ترامب على أنها محاولة لإدارة الخصومة مع بكين ومنعها من التحول إلى صدام مفتوح قد يفقد واشنطن القدرة على التحكم بمسار الأحداث الدولية.

ووفق التصريحات الرسمية، ناقش الطرفان ملفات التجارة والتكنولوجيا وتايوان، إلى جانب الحرب في أوكرانيا والتوتر المتصاعد مع إيران. كما ركزت واشنطن على قضايا سلاسل التوريد والقيود التكنولوجية، بينما شددت بكين على ضرورة تجنب التصعيد والحفاظ على الاستقرار الاقتصادي العالمي.

كما حملت الزيارة أبعاداً تتجاوز الملف الاقتصادي المباشر. فالولايات المتحدة تدرك أن الصين أصبحت لاعباً لا يمكن تجاوزه في ملفات إيران وأوكرانيا والطاقة والتكنولوجيا، بل وحتى في استقرار النظام المالي العالمي. وفي ظل التصعيد المستمر مع طهران، كانت واشنطن بحاجة إلى معرفة حدود الموقف الصيني: هل ستقف بكين إلى جانب إيران في حال توسعت المواجهة؟ وهل يمكن للصين أن تمارس ضغطاً على طهران يمنع انفجاراً إقليمياً واسعاً قد يضر بالاقتصاد العالمي وأسواق الطاقة؟

وفي الملف الأوكراني أيضاً، تدرك واشنطن أن الصين حتى وإن لم تدخل الحرب بصورة مباشرة، فإنها تمثل الرئة الاقتصادية والسياسية الأهم لروسيا في مواجهة العقوبات الغربية. لذلك، لم يكن هدف ترامب فقط تحسين العلاقات مع بكين، بل محاولة إبطاء تشكل محور صيني-روسي أكثر تماسكاً، لأن واشنطن تعلم أن أخطر سيناريو استراتيجي بالنسبة لها يتمثل في اندماج القدرات الروسية العسكرية والطاقوية مع القوة الاقتصادية والتكنولوجية الصينية ضمن جبهة موحدة طويلة الأمد.

لكن الصين من جهتها لم تستقبل ترامب من موقع الطرف الضعيف أو الباحث عن التهدة بأي ثمن. فبكين تدرك أن الولايات المتحدة رغم قوتها باتت بحاجة إلى الصين بقدر حاجة الصين إلى الأسواق الأميركية. ولهذا تعاملت القيادة الصينية مع الزيارة باعتبارها اعترافاً غير مباشر بأن سياسة الاحتواء الأميركية لم تنجح في وقف صعودها، وأن واشنطن مهما صعبت، ما زالت مضطرة للعودة إلى طاولة التفاهم مع بكين كلما اشتدت الأزمات الدولية.

## بوتين في بكين.. تحالف الضرورة أم شراكة القرن؟

إذا كانت زيارة ترامب إلى الصين قد عكست طبيعة العلاقة المضطربة بين قوتين تتنافسان على قيادة العالم، فإن زيارة بوتين حملت صورة مختلفة تماماً، صورة شراكة استراتيجية تشكلت تدريجياً خلال السنوات الماضية، ثم تعمقت بصورة غير مسبوقة بعد الحرب في أوكرانيا وتصاعد المواجهة بين روسيا والغرب. فموسكو لم تعد تنظر إلى بكين كشريك اقتصادي فقط، بل كركيزة أساسية في إعادة بناء التوازن الدولي في مواجهة الهيمنة الأميركية.

وقد جاءت زيارة بوتين إلى الصين في توقيت بالغ الحساسية بالنسبة لروسيا. فالحرب في أوكرانيا دخلت مرحلة استنزاف طويلة، والعقوبات الغربية ما زالت تضغط على الاقتصاد الروسي، بينما تحاول الولايات المتحدة وحلفاؤها عزل موسكو سياسياً واقتصادياً على المدى البعيد. فقد أراد الكرملين من الزيارة أن يبعث برسالة واضحة مفادها أن روسيا ليست معزولة، وأن لديها شريكاً دولياً بحجم الصين قادراً على تخفيف آثار الضغوط الغربية وفتح مسارات اقتصادية وسياسية جديدة أمامها. فقد ركز لقاء بوتين-شي بصورة أساسية على التعاون في مجالات الطاقة والتجارة والتنسيق السياسي في مواجهة الضغوط الغربية، إلى جانب الحرب في أوكرانيا وتوسيع استخدام العملات المحلية في التبادل التجاري بين البلدين.

لكن العلاقة بين موسكو وبكين لا تقوم فقط على مواجهة الغرب، بل على تقاطع مصالح أعمق بكثير. فالصين تحتاج إلى روسيا باعتبارها قوة عسكرية كبرى وواحدة من أهم مصادر الطاقة في العالم، كما تحتاج إلى العمق الجغرافي الروسي في مواجهة الضغوط الأميركية المتزايدة في آسيا والمحيط الهادئ. وفي المقابل، تحتاج روسيا إلى السوق الصينية الضخمة، والاستثمارات، والتكنولوجيا، والدعم السياسي الذي توفره بكين داخل المؤسسات الدولية.

ومع ذلك فإن وصف العلاقة الروسية-الصينية بأنها "تحالف كامل" قد يكون مبالغاً فيه. فالصين رغم دعمها السياسي والاقتصادي لروسيا، ما زالت تتجنب الانخراط المباشر في الحرب الأوكرانية أو الدخول في مواجهة مفتوحة مع الغرب من أجل موسكو، في ظل حرصها على الحفاظ على توازن دقيق في علاقاتها الدولية.

لهذا يمكن فهم زيارة بوتين على أنها محاولة لتعميق الشراكة مع الصين، ولكن أيضاً لاختبار حدود هذا الدعم. فموسكو تريد من بكين أكثر من مجرد بيانات سياسية، بينما تفضل الصين إبقاء العلاقة ضمن إطار "الشراكة الاستراتيجية المرنة" التي تخدم مصالحها دون أن تقيد حركتها الدولية. وهذا ما يفسر الحذر الصيني في بعض الملفات الاقتصادية الكبرى، وخصوصاً تلك المتعلقة بالاستثمارات طويلة الأمد أو المشاريع التي قد تستفز الغرب بصورة مباشرة.

إن المشهد العام للزيارة حمل دلالات سياسية مهمة. فظهور بوتين في بكين بعد أيام فقط من زيارة ترامب لم يكن تفصيلاً بروتوكولياً عابراً، بل رسالة سياسية متعددة الاتجاهات. الرسالة الأولى لواشنطن: أن محاولات إبعاد الصين عن روسيا لم تنجح. والرسالة الثانية للغرب عموماً: أن العالم يتجه تدريجياً نحو توازنات جديدة لم تعد الولايات المتحدة تتحكم بها وحدها. أما الرسالة الثالثة وربما الأهم، فهي أن بكين باتت تمتلك القدرة على استقبال خصمين استراتيجيين خلال فترة قصيرة، دون أن تخسر علاقتها بأي منهما.

فإن هذا المشهد يعكس تحولاً أعمق في بنية النظام الدولي. فخلال الحرب الباردة القديمة، كانت الدول تُجبر غالباً على الاصطفاف الكامل ضمن محور واضح، أما اليوم فإن الصين تحاول بناء نموذج مختلف، نموذج يسمح لها بالحفاظ على شراكات اقتصادية مع الغرب، وتحالفات استراتيجية مع روسيا، وعلاقات متنامية مع دول الجنوب العالمي في الوقت نفسه. وهذا ما يمنح بكين مساحة مناورة واسعة قد تجعلها، خلال السنوات المقبلة، اللاعب الأكثر تأثيراً في تحديد شكل النظام الدولي الجديد.

### ما الذي أراده الصين من الزيارتين؟

قد يبدو للوهلة الأولى أن الصين كانت مجرد محطة دبلوماسية لزيارتين منفصلتين، واحدة مع الولايات المتحدة وأخرى مع روسيا، لكن القراءة الأعمق تشير إلى أن بكين كانت الطرف الأكثر استفادة من هذا المشهد بأكمله. فاستقبال ترامب ثم بوتين خلال أيام قليلة لم يكن مجرد صدفة زمنية، بل عكس الطريقة التي تريد الصين أن يرى العالم دورها من خلالها: قوة عالمية قادرة على التحدث مع الجميع، واستقبال الخصوم والحلفاء معاً، دون أن تتحول إلى تابع لأي طرف.

الصين تدرك اليوم أنها وصلت إلى مرحلة لم تعد فيها مجرد قوة اقتصادية صاعدة، بل أصبحت لاعباً سياسياً واستراتيجياً لا يمكن تجاوزه في معظم الأزمات الدولية. ولذلك حاولت القيادة الصينية استثمار الزيارتين لإرسال عدة رسائل في وقت واحد. أولى هذه الرسائل أن بكين لم تعد معزولة أو محاصرة كما كانت تتمنى بعض الدوائر الغربية، بل أصبحت مركز جذب دولي تتوجه إليه القوى الكبرى نفسها عندما تبحث عن تفاهات أو توازنات أو حتى ضمانات سياسية واقتصادية.

أما الرسالة الثانية، فهي أن الصين لا تريد الانخراط في سياسة المحاور التقليدية بصورة كاملة. فبكين تدرك أن التحالف المطلق مع موسكو قد يدفعها إلى مواجهة شاملة مع الغرب، كما أن التقارب المفرط مع واشنطن قد يضعف شراكتها الاستراتيجية مع روسيا ويقلل قدرتها على المناورة. ولهذا تحاول القيادة الصينية الحفاظ على سياسة تقوم على "إدارة العلاقات المتناقضة" بدل حسمها نهائياً لصالح طرف واحد.

وفي هذا السياق، يمكن فهم الطريقة الهادئة التي تعاملت بها بكين مع الزيارتين. فهي لم تعطِ ترامب انطباعاً بأنها مستعدة للتخلي عن روسيا، ولم تمنح بوتين أيضاً شعوراً بأنها ستدخل معه في مواجهة مفتوحة ضد الغرب. بل حاولت الصين أن تظهر كقوة عقلانية تفضل الاستقرار العالمي، لكنها في الوقت نفسه تستفيد من حالة الانقسام الدولي الحالية لتعزيز نفوذها الاقتصادي والسياسي.

ومن الواضح أيضاً أن الصين تنتظر إلى المرحلة الحالية باعتبارها فرصة تاريخية لإعادة تشكيل النظام الدولي بصورة تدريجية. فالحرب في أوكرانيا أضعفت أوروبا اقتصادياً وأمنياً، والتوترات في الشرق الأوسط تستنزف الولايات المتحدة، بينما تعاني واشنطن نفسها من انقسامات داخلية وأزمات اقتصادية متكررة. وفي المقابل تواصل الصين توسيع نفوذها التجاري والتكنولوجي والدبلوماسي، ليس فقط في آسيا، بل في أفريقيا وأميركا اللاتينية والشرق الأوسط أيضاً.

لكن بكين رغم هذا الصعود، ما زالت تتجنب الاندفاع نحو قيادة صدامية مباشرة مع الولايات المتحدة. فالصين تعرف أن الزمن يعمل لصالحها أكثر من أي مواجهة عسكرية أو سياسية متسعة. ولهذا تبدو استراتيجيتها الحالية قائمة على "الصعود الهادئ": توسيع النفوذ الاقتصادي، بناء التحالفات، استثمار التناقضات الدولية، وإظهار نفسها كقوة استقرار عالمي في مقابل صورة الغرب المرتبطة بالحروب والعقوبات والصراعات.

ومن هنا، فإن الزيارتين المتتاليتين لترامب وبوتين تكشفان حقيقة أعمق من مجرد لقاءات سياسية؛ فالعالم بدأ يتحرك تدريجياً حول الصين، سواء بدافع القلق منها أو الحاجة إليها أو الرغبة في كسبها. وربما تكون هذه هي النقطة الأهم التي أرادت بكين تثبيتها خلال تلك الأيام القليلة: أن الطريق إلى كثير من الملفات الدولية لم يعد يمر فقط عبر واشنطن أو موسكو، بل عبر بكين أيضاً.

## خاتمة

تكشف زيارتا ترامب وبوتين إلى الصين خلال فترة زمنية قصيرة عن حقيقة أساسية باتت تحكم المرحلة الدولية الراهنة، وهي أن الصين لم تعد مجرد قوة اقتصادية كبرى، بل تحولت إلى مركز ثقل سياسي واستراتيجي تسعى القوى الكبرى إلى التعامل معه، سواء من موقع الخصومة أو من موقع التحالف. فواشنطن جاءت إلى بكين وهي تدرك أن احتواء الصين لم يعد مهمة سهلة، وأن أي انفجار كبير في الملفات الدولية، من إيران إلى أوكرانيا والتجارة والطاقة، لا يمكن إدارته دون دور صيني مباشر أو غير مباشر. أما موسكو، فجاءت وهي ترى في الصين شريكاً استراتيجياً ضرورياً في مواجهة الضغوط الغربية ومحاولة إعادة تشكيل توازنات النظام الدولي.

ورغم الاختلاف الكبير بين طبيعة العلاقات الأميركية-الصينية والروسية-الصينية، فإن بكين نجحت في استثمار هذا التناقض لصالحها، مقدمة نفسها كقوة قادرة على الحفاظ على خطوط التواصل مع الجميع، دون الانجرار الكامل إلى أي محور. وربما تكمن قوة الصين الحقيقية اليوم ليس فقط في اقتصادها أو قدراتها العسكرية، بل في قدرتها على المناورة بين الخصوم والحلفاء معاً، والاستفادة من التوترات الدولية بدل التورط المباشر فيها.

كما أن التتابع السريع للزيارتين لم يكن مجرد صدفة دبلوماسية، بل عكس إدراكاً دولياً متزايداً بأن مستقبل التوازنات العالمية لن يُرسم فقط في واشنطن أو موسكو، بل في بكين كذلك. فالصين باتت تمثل بالنسبة للبعض شريكاً اقتصادياً لا غنى عنه، وبالنسبة للبعض الآخر خصماً استراتيجياً صاعداً، لكنها في جميع الأحوال أصبحت لاعباً لا يمكن تجاهله في أي معادلة دولية كبرى.

يبدو أن العالم يتجه تدريجياً نحو مرحلة أكثر تعقيداً من مرحلة الحرب الباردة التقليدية، مرحلة لا تقوم فقط على الاستقطاب العسكري أو الأيديولوجي، بل على شبكة متداخلة من المصالح الاقتصادية والتكنولوجية والتحالفات المرنة. وفي قلب هذه الشبكة تقف الصين، ليس باعتبارها مراقباً للأحداث، بل باعتبارها أحد أهم الأطراف التي ستحدد شكل النظام الدولي القادم.

## المصادر

1. مواد وتحليلات منشورة في (RIAC) Российский совет по международным делам حول العلاقات الروسية-الصينية وتداعيات الحرب الأوكرانية، مايو 2026.
2. تحليلات صادرة عن (Valdai Discussion Club) Валдайский клуб حول الشراكة الروسية-الصينية والنظام الدولي الجديد، مايو 2026.
3. مقالات تحليلية منشورة في العربي الجديد حول التنافس الأميركي-الصيني والعلاقات الروسية-الصينية، مايو 2026.
4. تقارير وتحليلات صادرة عن Reuters حول زيارة بوتين إلى الصين والعلاقات الروسية-الصينية، مايو 2026.
5. تحليلات صادرة عن (CSIS) Center for Strategic and International Studies حول القمة الأميركية-الصينية والتنافس الدولي، مايو 2026.
6. تغطيات وتحليلات صادرة عن وكالة (Xinhua) Синьхуа حول زيارة ترامب وبوتين إلى بكين والموقف الصيني من القضايا الدولية، مايو 2026.
7. تحليلات منشورة في الجزيرة نت حول انعكاسات الزيارتين على النظام الدولي والشرق الأوسط، مايو 2026.